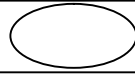


الطب النبوي وخيارات الوقاية

أ.د. خالد سر الختم السيد



الطب النبوي وخيارات الوقاية

أ.د. خالد سر الختم السيد^(H)

م:

يتناول هذا الموضوع الطب النبوي وخيارات الوقاية من مفهوم الآفة والمرض، والصحة والعافية والوقاية من منظور إسلامي. إنَّ المفهوم أو المنظور المتكامل للرؤية العلاجية يأتي في إطار تعبدٍ ذي، ينطلق أولاً من الإيمان وطلب الهداية من الله، واليقين بأنَّ الرزق من مأكَل ومشرب مسبب من الله لتربية الناس ونموهم وصالح حالهم بالشفاء من المرض. والذي يدرك بأنَّ المأل والعودة و اللجوء لا تنبغي إلا لله، يطمع في الله ويلجأ إليه. فالإنسان مرتبط بالله عن طريق العلائق الثلاث: الحب، والخوف، والرجاء. والسعيد من هداه الله لكل شيء في الدنيا وأعانه على الطريق بالصدق والمعرفة. نجد كل ذلك وأكثر في قوله تعالى: **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ** وَإِذَا مَرَّ ضُتُّ

(H) أستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، نائب المدير

العام للمركز العالمي لأبحاث الإيمان في الفترة من 1998م . 2001م.

العدد الثاني 1424 هـ -

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

2003م

الإنسان في أشد حالات ضعفه يعرف الله سبحانه وتعالى تماماً ويلجأ إليه، كما هو حادث في حالات الإشراف على الموت بحراً وبراً، يقول الله تعالى يصف حالات عبده ومناجاته لربه في حالات الضعف والإدماَسَ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاتِلًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁽¹⁾.

إذن من فطرة الإنسان أن يدعو الله في حالة مرضه، وفي طلبه للوقاية من خطر أو موت محقق بكل إخلاص وتجرد، وتلك حالات صدق وصفاء تعتري الإنسان، وما أن يشعر بالأمن أو الاطمئنان حتى ينسى تلك الحالة وينصرف. معظم الناس. عن الله، قال تعليلي لا تجد أكثرهم شاكرين⁽²⁾، وحتى يسلم الإنسان وتستقيم حاله لا بد من الإخلاص والتوجه لله في كل الحالات فقال تعالى قُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ إِيْتَاكَ إِذَا هَعْرَجٌ مُطَّلِقًا مِمَّنْ لَا يَمْسَسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ يُرْدِكْ بِهِ خَيْرٍ وَقَلِيلٌ مِّنْ أَتَى لِي فَأُولَٰئِكَ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ⁽³⁾.

الآفة:

هي كل أحوال النقص والقصور السالبة من الأشياء، والتي قد تنتهي بها إلى هلاكها. وقديماً قيل: (دوام الحال من المحال). ويتأرجح المخلوق

(1) سورة يونس، الآية (12).

(2) سورة الأعراف، الآية (17).

(3) سورة يونس، الآيات (105 . 107).

بين حالات الضعف والقوة أبداً، قال الله تعالى لنزلي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ
 مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قَلِيلٌ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ⁽¹⁾. الضعف آفة من آفات الإنسان أيضاً. ومداخل
 الآفة عليه كثيرة، فهي تبدأ معه حياته وتتخللها وتنتهي بها. وهي أيضاً
 بلون طبعه مادية ومعنوية أو روحية ونفسية، يحس بالآفة في نفسه
 وأعضائه وممتلكاته. وهي في ذاته وفي بيئته. وهما معاً يتمثلان في المادة
 ويتجردان في المعاني الروحية والنفسية.

وقد تصيب الآفة الإنسان في بعض حواسه الخمس أو فيها، مثل
 البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو الحس الجلدي، وقد تصيب الآفة
 الإنسان في عقله فتؤثر في فكره أو تميزه أو فهمه أو رؤيته، أو ذكره أو
 حفظه. وقد تصيب قوته البدنية وحركته، وقد تصيب الآفة الإنسان في
 قدرته وقوته، في عاطفته وما يعتريها من حالات الحب والبغض، فتتفرط
 ويختل اعتدالها وتوازنها.

متى خُلقت الآفة؟ ولماذا؟

رُويَ أن اليهود أتت النبي ﷺ، فسألته عن خلق السموات والأرض،
 فأفادهم في ذلك ثم قال: (وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة
 النجوم والشمس والقمر، والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه. وفي
 الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم

(1) سورة الروم، الآية (54).

وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة. ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قُلْ لِمَ الْهَدْتُوا عَلَى الْعَرَشِ {⁽¹⁾ قالوا: قد أصبت لو أتممت" قالوا: ثم استراح. فغضب النبي غضباً شديداً فنزل وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكَ لِلدِّينِ الْمَلِئُوكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ {⁽²⁾.

وحكمة خلق الآفة أنها مدعاةٌ للتجديد والتغيير ثم التحسين والإبداع والإحسان في الصناعات وغيرها بل وحتى بالنسبة للصحة، فإنها تذكر العاقل من الناس بأن الأمراض محطات ومراحل للتأمل والتدبير وتصحيح الأوضاع والإصلاح. وحتى لا يكون المرء كالبعير، لا يدري لماذا عقل، وماذا فك عقله، فعلى الإنسان أن يتدبر حاله ومآله وأحواله، فلعل كل ذلك يرشده إلى الإخلاص في العبادة والاستغفار لآثامه. وتصحيح المسار يصب في إطار التكاثر الإيجابي وتحسين المستويات الاقتصادية، قال فَقُلْتُ اسْتَعِظْ لِي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَمْدِدْكُمْ بِرُءُوسِ الْجِبَالِ وَالْجِبَالُ نَضِيبَاتٌ يَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا {⁽³⁾. فالآفات

(1) سورة الأعراف، الآية (54).

(2) سورة ق، الآية (38). وانظر: ابن كثير الآيات 9 . 12، الحديث أخرجه ابن جرير الطبري عن ابن عباس . رضي الله عنهما .، وقال ابن كثير: فيه غرابة، من مختصر ابن كثير للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة 1402هـ، 1981م، ص 258.

(3) سورة نوح، الآيات (10 . 12).

التي تهدر الجهد والمال والموارد إن تُدورِكَ وتعلّق النهج من سلبي إلى إيجابي شعر المرء وكل من حوله بالفارق بين الحالتين. وينبغي أن يدرك الطبيب المسلم أنّ الأمراض ليست عضوية فحسب إذ إنّ منها غير المادي وغير العضوي. ومن ذلك السحر والعين. فمن شك في أن العين التي تصيب الإنسان بالمرض . وهي آفة . فليراجع إسلامه وإيمانه. ففي باب الطب والمرض والرقى من كتاب اللؤلؤ والمرجان، فيما اتفق عليه الشيخان، حديث لأبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَعَنَ زَيْنُ حَقٍّ (1).

الآفة والمطالب الغريزية:

للإنسان مطالب وحاجات غريزية طبيعية جيّدة كالهواء والطعام والشراب والحركة والسكون والنوم واليقظة والاستفراغ والجماع، لا بد من إشباعها، وهذه أيضاً . أي المطالبات والحاجات . يعترئها النقص وعدم الكمال، كما يكون من حالاتها التردّي أو الفساد، وبفسادها يتأثر الإنسان وتندهور حالته.

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب العين حق. وانظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحيهما، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، 190/2، رقم (1411)، المكتبة الإسلامية . محمد أوزدمير . استنبول، تركيا.

ابن أبي الربيع وصحة البدن:

ويشير العلامة شهاب الدين بن أبي الربيع⁽¹⁾ إلى أن صحة البدن تحفظ بتعديل أمور خمسة هي: الكمية، والكيفية، والزمان، والترتيب أو الأسبقيات أو الأولويات، ثم تدارك الخطأ .

ولكل من هذه الأمور أو العناصر تأثير على الإنسان إيجاباً وسلباً وفي ترتيب وحصر ابن أبي الربيع لها أنموذج يوضح المؤثرات على الصحة البدنية، وعلى نفس القدر والمستوى النفسي. فكما يؤثر في البدن يؤثر أيضاً في النفس أو حالة الإنسان النفسية. لا فكاك بينهما. وهذا يعني أنه لا بد من النظر في كل علاج للإنسان بأنه ذو شقين بدني ونفسي. هذا لا ينبغي أن يُنظر إلى العلاج إلا متكاملًا .

وكان رسول الله ﷺ يدعو للتعوذ من المغرم، والعجز، والكسل لما لها من آثار نفسية مؤثرة حتى على البدن والصحة؛ كما سننظر فيما يلي:

روى البخاري في قوله: وَأَلطَّيْمَرَاتٍ أَقْتَالَعَنِي بَعْنِ الزُّهُرِيِّ
وَنَاعُرُ وَوَعْنُ بِنِ الْقَالِزُّ بَيْرِ عَن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
كَانَ عِيدَ الْوَهْفِيِّ الصَّلَاةِ: وَإِذْ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقُبُورِ أَعُوذُ بِكَ
مِنْ وَفَاتِنَا وَذُلِّ الْمَكْسَمِيِّ الْفَجَلَّةِ، أَمْ حَيَا وَفِتْنَةِ أُمَّمَاتِ اللَّهِ حَمَّ

(1) العلامة شهاب الدين بن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق د. حامد عبد الله

ربيع، دار الشعب، القاهرة، 1400هـ - 1980م، ص 376.

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَاللَّكْثَمِ وَاللَّكْثُومِ وَاللَّكْثُومِ مَا تَسْتَعِيدُ مِنْ
 إِنَّ الرَّامِجُ لِيُرِيَنَّمِ عَفْوَالِي: (حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ) (1).
 وَعَنْ زَيْدِ ابْنِ أَرْقَمٍ قَالَ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
 مِنَ الْعَجْزِ وَالْوَكْهَةِ وَالْجُبْنِ وَالْبُؤْسِ وَالْخَبَابِ الْقَبْرِ لِلَّهِ مَا آتَ
 زَكَهَاتُهَا أَذْكَرُ مِنْ زَكَاهَاتِهَا أَنْتَ وَرَبُّهَا أَوْ مَوْلَاهَا، إِنِّي أَعُوذُ
 بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا وَفَيْعَ قَلْبٍ وَلَا يَمْنَعُ نَفْسٍ لَا تُشْبِعُنِي، دَعْوَةٌ
 لَا يَسْتَجَابُ لَهَا) (2).

إذفن كل ما ذكر؛ نلحظ بأن اعتدال البدن لا يتم من خلال اللياقة
 الجسدية فقط. ومن الملاحظ أن كثيراً من المغرمين من الأصحاء، يتألمون
 ألماً أشد من الآلام الجسدية العضوية. هؤلاء يلجأون إلى الكذب والحيل،
 وقد يصيبهم الاكتئاب أو يلجأون إلى الوحدة والانعزال مما ينجم عنها
 أمراض نفسية واجتماعية تصبح مستعصية وأبيّة على العلاج.
 الأثر الصحي ونتائجه الاقتصادية:
 بالطبع تتأثر حاجات الإنسان ومطالبه بحالته الصحية، فإن كان
 صحيحاً معافاً فهو يسعى لإشباع حاجاته ومطالبه، بقدر ما يستطيع
 بالصراف من موارده التي يوزعها بين استهلاك وادخار أو توفير واستثمار.

(1) رواه البخاري في صحيحه في كتاب صفة الصلاة، باب الدعاء قبل السلام، طبعة دار الفكر

بيروت، 1401هـ. 1981م، 202/1.

(2) رواه مسلم، كتاب جواهر البخاري وشرح القسطلاني، تأليف مصطفى محمد عمارة، المكتبة

التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة السابعة، شعبان 1341هـ. 1922م، ص 555.

لكن عند مرضه فإنه يوجه كل موارده أو جُلّها أو جزءها حسب حالته المرضية، فإن كان هو الذي يباشر أعماله بنفسه، فقد تتوقف أحياناً مصادره وإيراداته بسبب المرض، كُنّي الذي لا شك فيه أن اقتصادياته تتأثر بمرضه، وكذلك كل أعماله. حتى العبادة، لهذا جاء في الحديث:

نُ عَ بَدِ اللّٰهَ بِنِ عُمَرَ . رَضِيَ اللّٰهَ عَنْهُمَ أَخْفَلَنَ سَوَّلُ اللّٰهِيْمَ عَزْكَبِي
 كُنْ فَفِي الْقُدِّي (أَكَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ وَرَعَاكَلِيْنَ بِيْلِيْن). عُمَرَ يَقُولُ :
 إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَوَطِّئْ نَارًا أَطْلُصِبِيْ طَحْتِ، فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسْوَءَ خُذْ مِنْ
 صِدْقِكَ لَوْ مِنْ ضَحْكِي مَا تَكَلَّمُ وَتَك (1).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَالٍ سَبَعًا هَلْ
 نُسِيًّا أَوْ تَغْتَطِّحُ وَطُغِيًّا لِلأَوْ مَرَضًا مُمْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفْتَدًا أَوْ
 مُجْهِزًا أَوْ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يَنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى
 وَأَمَرٌ (2).

ونتعلم من أحاديث رسول الله ﷺ عن المرض مفسد وأنه قد يقعد الإنسان عن العمل لهذا لا بد للإنسان من أن يخطط لحياته ويعمل بما يصلح حاله عند مرضه بالأدخار أو التوفير وبالعمل الجاد أثناء العافية، حتى إذا أقعد المرض كان له من الموارد ما يحفظ به حياته ووضعه

(1) أخرجه البخاري في الرقاق برقم 5937.

(2) أخرجه الترمذي في الزهد برقم 228، وقال: حديث حسن.

الاجتماعي والاقتصادي والنفسي، بما يوفر له أدنى حد من الاستقرار في كل هذه الجوانب. الصحة والعافية:

هما مصطلحان لشيء واحد ألا وهو الشعور بالرضى عن النفس وقوة البدن والقدرة على إتيان الأشياء التي تبدو أو تعن للمرء. وبهما تتم الحركة وتتحقق الإرادة وعنهما يتم الاختيار، وفي إطارهما يتحقق الإدراك.

تكتمل عند الإنسان السوي المعافى ملكات الإرادة والإدراك والاختيار والحركة. فإن فقد أيًا منها فإنه معلول وفاقد للصحة وغير معافى. فالصحة والعافية نعمة عظيمة تحدث عنها رسول الله ﷺ، فقد روى الإمام البخاري .

. عَنْ رِجْوَةَ اللَّهِ بَّاسٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : تَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمْ (أَكْثَرُ مِنْ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (1). والمغبون هنا معناها: الخسران.

إن مقصد خلق الإنسان هو عبادة الله، قال تعالى وَلَهُمْ أَفْعَالُ الْجَنِّ لِيَعْبُدُونَهُ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (2)، وللحياة على سطح الأرض واستعمارها والاستفادة منها، ولعبادة الله يحتاج الإنسان لصحته وعافيته. ولا بد له .

(1) أخرجه البخاري في الرقاق برقم 5933. وانظر: مصطفى محمد عمارة، المرجع السابق، باب

أسماء الله الحسنى والصحة والفراغ وكن كأنك غريب، الحديث رقم 709، ص 489.

(2) سورة الذاريات، الآيات (56 . 58).

كبشراً أن يحافظ عليها ويحفظ بدنه سليماً، كما يحفظ توازنه النفسي. فإذا تم له ذلك عاش سعيداً، ولكن لا طعم للسعادة بدون الصحة والعافية. وما أبلغ الأعرابي الذي دعاه أمير إلى طعام في يوم قانظ من أيام الصيف، وكان الأعرابي صائماً، وكان فيما قاله الأمير للأعرابي: "هذا طعام طيب". فردَّ عليه الأعرابي: "والله ما طيَّته أنت، ولا طيَّه طاهيك، ولكن طيَّه العافية".

ولقد جاء في سيرته ع أنه عندما أهدى إليه المقوقس ملك مصر ماريًا القبطية وبغلة وطبيباً أرجع الطبيب، ودح كمة إرجاعه ع الطبيب لربه قد تولاَّه فهو حسبه، ويعلم من الله ما لا نعلم، فهو يطعمه ويسقيه عند وصل صوم ليله بنهاره، ونحن ليس لنا ذلك، والله سبحانه وتعالى يتولى طبه وشفاءه عند مرضه، فيريه الرؤى ويعلمه بسبب طبه ومرضه وكيفية شفاؤه، فيفعل كما ر أى فيشفى.

ولأنه مصطفاً يحوَّجه لغيره، فهو حسبه، فلا يمكن أن يركن ع إلى طبيب فيتزعزع إيمان البشر وينقص إيمانهم بتركيزهم على بشريته ونسيانهم نبوته واصطفاءه واعتماده على الله أولاً وأخيراً. ولو اعتمد الناس وأخلصوا النية لله وحسن توكلهم لرزقهم كالطير، كما قال ع في الحديث: عَلَنِي رَوَاهُ بَنُ الْأَخْطَابِ قَلَّلَ زَسُؤُ اللَّهِ لَكُمْ كَذْتُمْ

قَّ تَوَكَّلْهُ لَرُزُقُومَ كَكَمَ اِيْرُ زَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَ اَصْدًا وَ تَرُوحُ
بِطَانًا⁽¹⁾.

فكلما أحسن الناس التوكل وخلصت نياتهم لله ولجأوا إليه وتوجهوا إليه كان ذلك مدعاة لشفائهم من الأمراض والأسقام التي تنتابهم، فليس العلاج عضوياً؛ فحسب ولكنه روحي ونفسي على نفس القدر والمقام. وكان في الطب القديم طائفة من الذين يرون أن الدواء عضوي. يقول ابن القيم: "وقالت طائفة إنَّ عامة الأدوية تتوافر بنزول الغيث من السماء الذي تتوالد به الأغذية والأقوات، والأدوية والأواء، وآلات ذلك كله، وأسبابه ومكملاته، وما كان منها من المعادن العلوية: فهي تنزل من الجبال؛ وما كان منها من الأدوية والأنهار والثمار فداخل في اللفظ على طريق التغليب والاكتفاء عن الفعلين بفعل واحد يتضمنهما"⁽²⁾.

وهذه الطائفة التي ذكرها الإمام ابن القيم . رحمه الله . ومن فَ لَقَّ هَم
من أطباء القرن، ممن ركن إلى التشخيص العضوي فقط يرى الداء والدواء

(1) رواه الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة في الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/1، 1421 هـ . 2000م، 640/1، باب التوكل على الله، حديث رقم 2344، وقال الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الدمشقي: "حديث حسن". انظر: رياض الصالحين للنووي، دار الحديث، القاهرة، والدار السودانية للكتب، بدون تاريخ طبع، في باب اليقين والتوكل، الحديث رقم 79.

(2) شمس الدين بن محمد بن أبي بكر أيوب بن قيم الجوزية: الطب النبوي، إحياء التراث العربي،

بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع، ص 106.

قد يتركب من المواد الكيميائية أو العضوية، وتدخل في ذلك الأحياء النباتية والحيوانية وغيرها مثل الفطريات... الخ.

وحديث ابن القيم هذا غير بعيد من مسارات العلم الحديث في اكتشاف الأدوية والأدوية. فالتجارب والدراسات تبدأ وتنتهي . بعد الجوانب النفسية . بالإنسان وبيئته وكل ما يتضمنها من مواد. دعوته ع للناس بالتداوي وطلب الأطباء:

ذكر الإمام مالك . رحمه الله تعالى ن في الموطأ بن أسد لم أن في رزأجه اللينه رجس وولج فلاله تقن الجرح الدم و أن الرجل ن من بني أنمار فنظر إليه فزع ما أن رسول الله قال له ما أو في الطيبك ما حطيبو؟ فيقالن رسول الله؟ فزع ما زيد أن رسول أنزل الله الدعاء: (الذي أنزل الأدواء) (1). ومنها ما رواه عمر بن

دينار عن هلال بن يساف، قال: دخل رسول الله ع على مريض يعود، فقال: (أرسلوا إلى طبيب)، فقال قائل: وأنت تقول ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل دواء) (2).

(1) موطأ مالك، الجامع، برقم 1482. وانظر: الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة، ودار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، باب تعالج المريض، 12/3.

(2) ابن القيم: الطب النبوي، مرجع سابق، فصل في هديه ع في الإرشاد إلى معالجة أحمق الطبيبين، ص 105. راجع: صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له الشفاء. محمد أوزدمير، المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، 1979م، 11/7.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا يزال
الله دافعاً للإلهة شفاءً (1).
الوقاية من الأدواء:

ثبت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا يزال
يُوردن ممرضاً على مريض (2)، يقول الإمام ابن القيم (3). رحمه الله
تعالى: فهذا هو المعنى الذي قال فيه النبي ﷺ: لا يُوردن ممرضاً على
مريض، كره أن يخالط ملعته الصحيح لئلا يناله من نطفه وحكته ما به.
قال: وأما الجنس الآخر من العدوى، فهو الطاعون يزل ببلد، فيخرج منه
خوف العدوى، يشرح الإمام النووي قوله تعالى: لا تكفوا يدرككم
الموت ولو كنتم في بروج مشيدة (4)، وكذلك الآية الكريمة لا تلاقوا
بأيديكم إلى التهلكة (5) ببعد الله بن عباس. رضي الله عنهما.
أن عمير رج بإني الشحاط لبتي إذا كان بسدر غ لقيه أمراء

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطب برقم 5246، وانظر الحديث في: الحاكم، وسنن النسائي،
وابن ماجة.

(2) أخرجه الشيخان: البخاري في كتاب الطب برقم 5328، ومسلم في السلام برقم 4117.

(3) انظر: الإمام ابن القيم، مرجع سابق، ص 119. نقل الإمام ابن القيم معنى الحديث الوارد في
صحيح البخاري، المرجع السابق، ص 31، وهو قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعتُ أبا
هريرة عن النبي ﷺ قال: (لا توردوا الممرض على المصح).

(4) سورة النساء، الآية (78).

(5) سورة البقرة، الآية (195).

الأجانب يؤمنون. بلائدرة أفع أخذ بأصد وهو البنية الوباء قد وقع
 بالشام قال ابن عباس فافقوا لعلمي رالمه اجارين الأولين
 شارههم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالفشألم تلافوا، فقال
 جت لأم ربوعا هذه هي أن ترجع عنه، وقال بعضهم من جك
 بقرية الناس وأصحو أنذر من أول اللقدهم هم على هذا الوباء
 ادفعوا للفيج والأخضي، ثم قللوا عنه وتهم له فاستشارهم
 فسلكوا سبيل الأمه اجارين تلافوا كلخذ تلافهم، فوقفوا عني، ثم
 من كان هاهنا قاملان عملا شيخة قر يش من مه اجرة الفتح
 تهم فلم يخذلوا عليه ر جنلان في قن الوتر جمع بالناس ولا
 هم على هقناملوا بباء، فنادى عمر في التليهم: صدح على
 فأصد بدوا عليه فقال أبو عبدة بن أفالرح رراحه: من قدر الله؟
 لوفقوا يورقوا الله ايا أبان بعيمد قو؟ كلكر ه خلافة عم
 الله إلى قدر نالقه، ملرن أيت لو كانت لك إبل فه بطت و اديا
 له عايد تالهم ما خوص الأبخسوسى جان بقو، عيت الخصبية
 الله و ابن عويقه ببقا جدية ر عيته ابقدر الله لجال با ع بد
 الرحم من كرات ه وتغيبا في بعض حاجته فاقال: ندي من
 هذا علم اسمعت رسول الله يهدوالم: به عبتام ض فلاتقدموا

قَع بَارِضٍ وَ أَنْتُمْ بِهِ أَفَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، قَالِي مَدِ اللّٰهُ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْهَرَ رَفَ (1).

إِوَقَدَسَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِ(لِطَاءِ) وَنِ بَارِضٍ قَوْلًا تَأْوِخًا ذَا وَ قَع
بَارِضٍ وَ أَنْتُمْ بِهِ أَفَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا (2).

وهذه ممارسة عالمية أصبح العالم يفرضها، فلا تقبل أي دولة دخول
مريض يحتمل أن ينقل إليها المرض الوبائي، كما لا تقبل أشياء ومنقولات
ومأكولات لنفس السبب.

ولا تعارض بين أحاديث العدوى وعحديث: (وَلَا طَيْرَةَ) (3).
فلكل مقامه، وظروفه وكذلك الحال في العالم المعاصر يسافر الناس طلباً
للشفاء بأمراضهم. فإن كان مطلق المرض والمرضى ممنوعين من دخول
البلاد الأخرى، لتقطعت بالناس السبل، وتفشى المرض أكثر بينهم لدخولهم
بالحيلة والتمويه والخدع حتى في الأوراق الثبوتية. لهذا فالعدوى محتملة
والوقاية واجبة، والمرض موجود، والتداوي والاستشفاء مطلوب، وهناك
خطوط اعتدال وضوابط وتوازن في الأمر برمته، ولكل مقام مقال، ومنها

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب من خرج من أرض لا ثلاثمه، المرجع السابق، ص
20.

(2) أخرجه الشيخان: البخاري في كتاب الطب برقم 5287، ومسلم في السلام برقم 4113.
وانظر: الإمام ابن القيم، المرجع السابق، ص 119 .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الطب برقم 5312، ومسلم في السلام برقم 4116.

الاستحباب والإرشاد والاختيار. وهذا ما تبذله الدول وأطبائها وحكامها في تناول أمر الوقاية والعلاج.

ولإزالة الفهم المتناقض بين حديث العدوى وحديث: (لا يوردن ذو عاهة على مصح) يقول الإمام ابن قتيبة: "إنه ليس في هذا اختلاف، ولكل معنى منها وقت وموضع، فإذا وُضِعَ بموضعه زال الاختلاف"⁽¹⁾.
الوقاية من الدّين:

وبهذا الفهم المختصر، الذي أوردناه يصبح فقه الوقاية من فقه المعاملات، والدين المعاملة. فيرسخ في مفاهيم الناس ويرتبط بإيمانهم ويصبح راسخاً في قناعاتهم الربانية لأنه يبدأ مع كل الناس، كأولويات وبدائيات للمعرفة والعلم. ولقد أورد ابن عباس . رضي الله عنهما . في معنى قوله تعالى
وَلَكِن كُذِّبُوا رَائِيَيْنَ {⁽²⁾: الرباني هو: الذي يربي الناس بصغار العلم
قَبْلَهُمْ كَبَارَهُمْ عَزْمًا إِلَّا الْعَالَمُونَ {⁽³⁾، وقال تعالنيّ لِإِذِينَ آمَدُوا
وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي
جَنَّاتٍ الدَّعِيمِ {⁽⁴⁾.

(1) الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، دار الجيل، بيروت،

لبنان، 193هـ، 1972م، ص 102.

(2) سورة آل عمران، الآية (79).

(3) سورة العنكبوت، الآية (43).

(4) سورة يونس، الآية (9).

فإذا أصبح فقه الوقاية من الدين كما هو الحال في الإسلام، لأصبح الوعي جزءاً لا يتجزأ من حياة الناس ولأصبحوا أكثر تقدماً وتحضراً. ولأن الإسلام خاتم الديانات نجد أنه لم يترك موضوعاً يؤدي إلى سعادة الدارين إلا استكمل فيه القول، ولا نجد ديناً من الأديان تطرق لمثل هذا الموضوع. الوقاية والعلاج. بمثل ما جاء به الإسلام.

الطب النبوي وخيارات الأفراد:

عندما يكون الإيمان والدأين كل شيء في حياة المرء تصبح معالجته للأمور كلها منطلقة من إيمانه وتدأينه. يقول الإمام ابن القيم: "بعض الناس يكون قوي الإيمان، قوي التوكل، ففج قوةً تؤكله. قوة العدو. كما تدفع قوة الطبيعة قوة العلة فتبطلها. وبعض الناس لا يقوى على ذلك (فخاطبه بالاحتياط والأخذ بالتحفظ، وكذلك هو فعل الحالين معاً لتقتدي به الأمة فيهما، ففأخذ مَن قوي من أمة بطريقة التوكل والثقة بالله، وفأخذ من ضعف منهم بطريقة التحفظ والاحتياط)، وهما طريقتان صحيحتان، ومسألة التحوط والتحفظ ومحاولة الوقاية يختلف فيها الأفراد، وهي مسألة فيها نظر، فتأمل في مقابلة الأطباء للمرضى، وقد يحمل المريض أمراضاً معدية، والأطباء يقابلون الجميع في المشافي والمنازل ومختلف المواقع، ويتصرف هؤلاء الأطباء بشجاعة وجرأة وثبات، وكأنما لسان حالهم يقول: **قُلْ لَنْ يُصْرِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**⁽¹⁾، وآخرون من الأطباء يحتاطون

(1) سورة التوبة، الآية (51).

والتداوي، وقد وضعها ع للمسلمين وشجعهم عليها. والطب عند المسلمين لا يرتبط بأحوال البدن والعلاج الطبيعي فحسب، بل يرتبط بالنفس والروح والقرآن الكريم والسنة المطهرة، وبذلك يستكمل الطب، ويقول الإمام ابن القيم: "كل طبيب لا يداوي العليل تفقُّد قلبه وصلاحه، وتقوية رُوحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير والإحسان والإقبال على الله والدار الآخرة فليس بطبيب، بل متطيِّقاً قاصر، ومن أعظم علاجات المرض: فعل الخير والإحسان، والذكر والدعاء، والتضرُّع، والابتهاج إلى الله، والتوبة. ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل وحصول الشفاء، أعظم من الأدوية الطبيعية. ولكن . كل ذلك . بحسب استعداد النفس وقبولها، وعقيدتها في ذلك ونفعه"⁽¹⁾.

والطبيب الحاذق هو الذي ينبغي أن يراعي في علاجه عشرين أمراً . نلخصها باختصار وقد يكون مخرلاً . (الأول): النظر في نوع المرض، و(الثاني): أسبابه، و(الثالث): قوة المريض في مقاومته للمرض، و(الرابع): مزاج البدن الطبيعي، و(الخامس): المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي، و(السادس): سن المريض، و(السابع): عاداته، و(الثامن): الوقت الحاضر من فصول السنة، لأنَّ هنالك أمراضاً مرتبطة بالمواسم، و(التاسع): بلد المريض، و(العاشر): حال

(1) الإمام ابن القيم: مرجع سابق، ص 113 - 114.

الهواء وقت المرض، و(الحادي عشر): النظر في الدواء المضاد لتلك العلة، و(الثاني عشر): النظر في قوة الدواء ودرجته والموازنة بينها وبين قوة المريض، و(الثالث عشر): أن لا يكون كل قصده إزالة تلك العلة فقط، بل إزالتها على وجه يأمن معه حدوث علة أخرى أصعب منها، فمتى كانت إزالتها لا يؤمن معها حدوث علة أخرى أصعب منها أبقاها على حالها، وتلطيفها هو الواجب، و(الرابع عشر): أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره، و(الخامس عشر): أن ينظر في العلة: هل هي مما يمكن علاجها؟ ولا يحملها الطمع على علاج لا يفيد شيئاً، و(السادس عشر): أن لا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغ، بل يقصد إنضاجه فإذا تم نضجه بادر إلى استفراغه، و(السابع عشر): أن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، و(الثامن عشر): التلطف بالمريض والرفق به كالتلطف بالصبي، و(التاسع عشر): أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية والعلاج بالتخييل. وفي الأخيرة آثار نفسية إيجابية على المريض، و(العشرون) وهو ملاك أمر الطبيب، أن يجعل علاجه وتدبيره دائراً على ستة أركان: حفظ الصحة الموجودة، وردّ الصحة المفقودة بحسب الإمكان، وإزالة العلة، أو تقليلها بحسب الإمكان، واحتمال أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما، وتقويت أدنى

المصلحتين لتحقيق أعظمهما. فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج.

خاتمة وخالصة:

الآفة والمرض والصحة والعافية، والوقاية من الأمراض والمحافظة على الصحة والعافية، ابتلاء من الله سبحانه وتعالى، واختبار للإنسان لكيفية تصرفاته وعمق إيمانه وحسن إسلامه. ويدخل كل ذلك في عموم قوله سبحانه وتعالى **إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا قَافِرُونَ لَمَنَّا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** {⁽¹⁾، ويرجع أمر الإنسان المؤمن في كل شيء إلى أمر الله. قال تعالى **لَوْ رَدُّهُ إِلَيَّ لَيَأْتِيَنِي السُّؤْلُ وَرَأْسُ الْكِرَامِ كَمَا بَدَأْتَهُمْ أَعْلَمَ الْاَذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ وَرِعْلِكُمْ لَآتَبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا** {⁽²⁾، فالإنسان ذلك المخلوق، الذي أهبه الله سبحانه وتعالى لهذا العالم جعل له الهدى في كل شيء، فمن تبع هداة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لأنهم يستضيئون بعلمه وتعريفه لهم بخواص جميع الأشياء وفوائدها، ومن ذلك كيف يصلون إلى الشفاء، ولا يحسب الإنسان أن هنالك طباً متكاملاً وناجعاً وفاعلاً ومفيداً بعيداً عن الإيمان بالله. والإنسان إذا اعتقد بخلاف ذلك خاب وخسر دهره كله، وأفسد عمله وخسر آخرته خسراناً مبيناً. وقد دار نهج المصطفى ﷺ

(1) سورة الأعراف، الآية (155).

(2) سورة النساء، الآية (83).

في الأمور كلها بأن الله هو المعطي ومحمد ع هو القاسم، أي هو حلقة
الوصل، مثله مثل من سبقه من الأنبياء رضوان الله عليهم ، فالفقه في
الدين ينبغي أن يكون مطلب الطبيب قبل مويضه. يونس من أو ية ت
نقاله جفت ن النبي ريقه واللّه: (به خير أئمة في الدين ثم ما أذا
و لن قشورم آل وه للآله الأئمة طائفة على أم ر اللّه لا يضرهم من
خالفهم حتى يأتي أمر ر اللّه) (1).

فالتب العلاجى والوقائى عند المسلمين ينبغي أن يقوم على فقه وعلم
بالكتاب والسنة قبل اختيار تخصص، فيصبح الاستطباب وطلب الشفاء
ديناً، قبل أن يكون حاجة بشرية. ومن ثم يعتمد على القيم، وتصبح
أخلاقيات المهنة نابعة من دين الناس وعاداتهم ومعاملاتهم لا عن تنظير
بعيداً عن ذلك.

(1) أخرجه البخاري في العلم برقم 69.

نتائج البحث

[1] المرض آفة من الآفات التي تصيب الإنسان وتحتاج معالجتها إلى نظر دقيق في عوامل شتى منها: طبع الإنسان، ونوع مرضه، وأسبابه، ومكانه، وموسم مرضه، وهل يتفاقم المرض بالعلاج أم لا، وما هي أخف الأضرار الناجمة.. الخ.

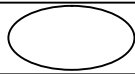
[2] الوقاية من المرض أو خيارات العلاج متعددة منها ما يعتمد على شخصية المرء نفسه.

[3] للعلاج جانبان: عضوي مادي خاضع للطبيعة الإنسانية والبيئة والظروف، والآخر نفسي.

[4] العلاج العضوي والنفسي للإنسان المسلم ينبني أولاً وأخيراً على إيمان المرء وقويّ الإيمان أقدر على تخطي مراحل المرض وتبعاته وآثاره النفسية من المؤمن الضعيف، إذ إنَّ يقين القوي أنّ الشافي هو الله وحده لا شريك له، وهذا يساعده على العلاج.

[5] يحتاج طلاب العلم في الجامعات ومراكز البحث العلمي لمواصلة الدراسات في هذا الجانب حتى يتقوّى المسلمون وتعود لهم ثقتهم في دينهم، فالدين المعاملة، وهو السلوك القويم في حياة مطلوب فيها سعادة الدنيا والآخرة.

وبالله التوفيق



المراجع

القرآن الكريم

- [1] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزیه البخاري الجعفي: صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة 1401هـ، 1981م.
- [2] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، صدّحه وضبطه محمد زهدي النجار، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1393هـ، 1973م .
- [3] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ودار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- [4] شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1377هـ، 1957م.
- [5] شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق دكتور/حامد ربيع، دار الشعب، القاهرة، 1400هـ، 1980م.
- [6] محمد علي الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ، 1981م.

[7] محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق فيه الشيخان، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحيهما، المكتبة الإسلامية، محمد أوزدمير، استنبول، تركيا.

[8] مصطفى محمد عمارة: جواهر البخاري وشرح القسطلاني، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1341هـ، 1922م.

